تفاعلات رشيد رضا المنهجية مع مقاصد القرآن: دراسة تحليلية

Rashid Rida's Approach in Interacting with the Objectives of the Holy Qur'an: An Analytical Study

الأستاذ المشارك الدكتور رضوان جمال يوسف الأطرش*

الملخص

تركز هذه الدراسة بشكل خاص على منهج رشيد رضا في التفاعل مع مقاصد القرآن الكريم، حيث أكد رضا أن دراسة مقاصد القرآن والتفاعل معها يساهم في تنمية وتعليم الإنسان، ورفع شأنه وتكامل إيمانه، وتطهير نفسه، وتنمية قدراته العقلية والفكرية والمنطقية. كما يسعى البحث إلى إظهار منهج رضا المقاصدي في التفاعل مع المقاصد القرآنية وكيف أن ذلك يساهم في إزالة العقبات التقليدية والوراثية والعادات السلبية من عقول الناس، وبذل جهودٍ لزرع القيم الإيجابية مكانها، وبذلك يصبح الإنسان في مسار التطور وتحقيق الإخوة الإنسانية. من جهة أخرى، تسلط هذه الدراسة الضوء على المنهج الاستقرائي لتتبع بعض الأفكار الخاصة بالمقاصد الخاصة عند رشيد رضا في تفسيره القيم، وتبني المنهج التحليلي لمناقشة الأفكار المقاصدية الرئيسة التي تبناها رشيد رضا في تفاعله مع المقاصد القرآن في تفسيره مما جعل تفسيره تفسيراً متميزاً على غيره. ومن النتائج التي توصل إليها البحث أن رشيد رضا أثبت من خلال تفاعله مع المقاصد القرآنية أن هناك تنافرًا بين مقاصد وأهداف القرآن والروايات الواردة في كتب التفسير، حيث يرى أن تلك الروايات تشتت انتباه القارئ وتحجب عنه المقاصد الأصيلة للقرآن. علاوة على ذلك، توصل رشيد رضا إلى أن تفاعله مع المقاصد القرآنية أثمر باكتشاف أساليب القرآن باعتبارها فريدة تجمع بين مختلف مقاصده وأهدافه، حيث تضمن تنوعاً في المضمون من خلال العقائد والحكم والمواعظ وأحكام العبادات، وذلك بهدف جذب انتباه المتلقي وتجديد روحه وفهمه.

الكلمات المفتاحية: منهج، رشيد رضا، التفاعل، مقاصد القرآن الكريم، دراسة تحليلية

ABSTRACT

This study specifically focuses on Rashid Rida's approach to engaging with the objectives of the Holy Quran, where Rida emphasised that studying and engaging with the objectives of the Quran contributes to the development and education of individuals, elevating their

* أستاذ مشارك في قسم دراسات القرآن والسنة – كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا. radwan@iium.edu.my

status, integrating their faith, purifying themselves, and enhancing their intellectual, cognitive, and logical abilities. The research aims to demonstrate Rida's methodological approach in interacting with the Quranic objectives and how it contributes to removing traditional, hereditary, and harmful habits from people's minds while striving to instil positive values in their place, thus guiding individuals towards development and achieving human brotherhood.

On another note, this study sheds light on the inductive methodology to trace some of the specific objective ideas embraced by Rashid Rida in his valuable interpretation, adopting an analytical approach to discuss the main objective ideas he engaged with in his interpretation, which made his interpretation distinguished from others. One of the research findings is that Rashid Rida demonstrated through his engagement with the Quranic objectives that there is a contradiction between the objectives of the Quran and the narratives found in tafsir literature, as he believes that these narratives distract the reader and obscure the genuine objectives of the Quran. Rashid Rida concluded that his engagement with the Quranic objectives resulted in discovering the unique methods of the Quran, which combine its various objectives, ensuring diversity in content through beliefs, rulings, admonitions, and worship regulations, to capture the attention of the recipient and renew their spirit and understanding.

Keywords: Methodology, Rashid Rida, Interaction, Objectives of the Holy Quran, Analytical Study.

المقدمة

لا يزال التفسير المقاصدي يشكل أملاً تجديدياً للخارطة التفسيرية للقرآن، كما أنه في نفس الوقت رؤية اجتهادية جديدة ومنهجاً علمياً واعياً بمرامي الخطاب القرآني لدرجة أنه يقف أمام التفسير العبثي التفكيكي[١] للقرآن الكريم والذي أخذ يتسلل بشكل مرعب ومثير للشك والجدل إلى العقلية التدبرية للقرآن الكريم، ليشكك في الثواب اليقينية الكبرى لهذا الكتاب العظيم. والمشكلة تتفاقم كلما عرفنا أن تاريخ التفسير المقاصدي ما زال يافعاً حدثاً، ومغامراته ما زالت حديثة السن غير مستقرة في أذهان روادها، ويحيط به الالتباس والتداخل لأنها غير مصرَّح بها، ككثير من آيات الأحكام، وهو ما تحاول هذه الدراسة أن تجليه. ولقد ساعد على ذلك غياب المنهجية التفسيرية المقاصدية للقرآن الكريم من أذهان الكثيرين من المفسرين القدامى والمعاصرين رغم أن اجتهاد المجتهدين منهم ما قام إلا على أكتاف المقاصد وأسرارها. فهناك معادلة مهمة مفادها: أنه كلما تجذرت فكرة فك الارتباط بين نصوص القرآن ومقاصده كلما قلّ النفع من آيات الذكر الحكيم القائمة على الترابط والانسجام والتناسق والانضباط، وكلما غابت الرؤية المقاصدية التي تتعامل مع القرآن من خلال الوحدة

[١] وأقصد بالمنهج التفكيكي غياب الرؤية الكلية للآيات والسور القرآنية القائمة على اليقين، لتتعامل معه وكأنه خطاب بشري.

الموضوعية وعلم المناسبات والسياق القرآني. فهناك مقاصد قرآنية لكل سورة، ومقاصد قرآنية لكل مقطع ولكل حكم وأسلوب وقصة.

ورغم حضور المصطلح المقاصدي في التراث العلمي لعلمائنا الكبار كالطبري والجويني والغزالي وابن تيمية والشاطبي والدهلوي ورشيد رضا وسيد قطب وابن عاشور، إلا أن العجز العلمي واضح وجلي في مسألة تقديم رؤية مقاصدية كلية للحضارة التفسيرية للقرآن، بل جعل الكثير من أعمال المفسرين في حالة من البساطة الاجتهادية المقاصدية ويتعاملون مع القرآن دون تقديم رؤى تفسيرية تتوافق مع الهدف الأسمى الذي أنزل الله إلينا فيه القرآن، والمدقق في الأحكام المنطوقة لديهم يجدها بعيدة عن الروح التي أحاطت بالمقاصد الكبرى والأساسية للقرآن الكريم، وأصبح الأداء التفسيري خالياً من المهنية المقاصدية التي أدت إلى تجميد كثير من نصوص القرآن، فاختلّت الرؤى الكبرى والموازين العظمى في استحضار فقه الأوليات وهزمنا مقاصدياً بل أصابتنا نكسات فكرية.

من جهة أخرى، كثر الدارسون لمقاصد الشريعة الإسلامية، لكن عددهم قلَّ عند الحديث عن مقاصد القرآن الكريم، رغم أن مقاصد الشريعة[٢] كما أفهم أخص من مقاصد القرآن ومنبثقة منه، كما أن مقاصد القرآن هي الأصل وتتكلم عن موضوعات وقضايا خطيرة عامة مثل: الخلافة والكون والحياة وغيرها[٣]. ولهذا فان رشيد رضا، فطن إلى هذاه المسألة فتحدث في تفسيره عن مقاصد القرآن الأصلية، وتفاعل بجدية مع الأمر، وخاطب المفسرين لينتبهوا إليها أثناء القيام بالعملية التفسيرية. ولهذا تظهر مشكلة البحث بشكل جلي في محاولة الإجابة عن مدى توظيف رشيد رضا لمقاصد القرآن في تفسيره المنار، وأن عدم التفاعل مع مقاصد القرآن يؤدي إلى تفكيك النصوص القرآنية، ولهذا فهو يحذر بشكل جلي بتبني المنهج التفكيكي لنصوص القرآن باعتبارها نصوصاً ليس مسلماً بها، فهي ظنية الدلالة قابلة للنقاش والأخذ والرد. في هذا الخلط الذي ظهرت فيه مقاصد الشريعة – المتمثلة في الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وجعلوا الضروريات في حفظ النفس والعقل والدين والنسل والمال[٤] –، وتكاد كلمة العلماء تقتصر على إبراز تلك المقاصد وبيانها على أساس أنها نفسها مقاصد القرآن. ولهذا جاء الشيخ محمد رشيد رضا ليبين للناس هذا الفصل بطريقة منهجية بعيدة عن السياق الذي خرجت منه الدراسات الأصولية والفقهية. وعليه فإن تفاعلات رشيد رضا المنهجية مع مقاصد القرآن أثبتت

[٢] حفظ العقل، والدين، والنفس والعرض والمال. انظر: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (د.م: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ج٢، ص٢٠.

[٣] ينظر: عبد الرحمن حللي، **مقاربات مقاصد القرآن الكريم: دراسة تاريخية**، مجلة التجديد، المجلد العشرون، العدد التاسع والثلاثون أ، عدد خاص بالمقاصد. ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م) ص٢٢٤.

[٤] الشاطبي، **الموافقات**، ج٢، ص٢٠.

أنها جاءت بهدف ترقية وتربية النوع الإنساني وإعلاء شأنه وإكمال إيمانه، وتزكية نفسه، وتربيته تربية عقلية فكرية منطقية، بحيث تجتث هذه التربية كل بقايا التقليد والوراثة والعادات القبيحة الضارة من أعماق نفسه، ليغرس في مكانها أضدادها، وبهذا يدخل الإنسان في طور الرشد وتحقق أخوته الإنسانية.

كما يركز هذا المقال على بعض أفكار رشيد رضا الخاصة بالمقاصد، إذ يرى رحمه الله من خلال تفاعله مع المقاصد القرآنية أن هناك تعارضاً بين مقاصد القرآن والروايات المأثورية الكثيرة في كتب التفسير، يقول رشيد رضا: "أَنَّ أَكْثَرَ مَا رُوِيَ فِي التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ أَوْ كَثِيرِهِ حِجَابٌ عَلَى الْقُرْآنِ وَشَاغِلٌ لِتَالِيهِ عَنْ مَقَاصِدِهِ الْعَالِيَةِ الْمُزَكِّيَةِ لِلْأَنْفُسِ، الْمُنَوِّرَةِ لِلْعُقُولِ، فَالْمُفَضِّلُونَ لِلتَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ لَهُمْ شَاغِلٌ عَنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَاتِ، الَّتِي لَا قِيمَةَ لَهَا سَنَدًا وَلَا مَوْضُوعًا"[٥].

ولعلنا نختصر فكرته في النقاط الآتية:

١. يرى رشيد رضا رحمه الله أن هناك تعارضًا كبيراً بين مقاصد القرآن والروايات المأثورة في كتب التفسير.

٢. يعتبر رضا أن الروايات المأثورة تشكل حجابًا يحجب القرآن ويشتت انتباه القارئ عن مقاصده النبيلة.

٣. ينتقد رشيد رضا تفضيل بعض الناس للتفسيرات المروية، مشيرًا إلى أنها تشتت انتباههم بكثرة الروايات دون أهمية ودون توثيق موثوق.

٤. يؤكد رضا على أهمية فهم مقاصد القرآن العالية والنبيلة التي تعمل على تنوير النفوس والعقول.

من جهة أخرى، نرى الشيخ رضا من خلال تفاعلاته مع المقاصد قد تحدث عن أساليب القرآن، ورأى أن أسلوبه فريد بحد ذاته لأنه يمزج بين مقاصد القرآن المختلفة، ففي الأسلوب القرآني الواحد ترى العقائد والحكم والمواعظ وأحكام العبادات، كل ذلك من أجل نفي الملل والسآمة من نفوس القراء والسامعين له، ثم من أجل تجديد النشاط والفهم لديهم[٦]. يقول الشوكاني: وَأما مَقَاصِد الْقُرْآن الْكَرِيم الَّتِي يكررها ويورد الْأَدِلَّة الحسية والعقلية عَلَيْهَا وَيُشِير إِلَيْهَا فِي جَمِيع سوره وَفِي غَالب قصصه وَأَمْثَاله فَهِيَ ثَلَاثَة مَقَاصِد يعرف ذَلِك من لَهُ كَمَال فهم وَحسن تدبر وجودة تصور وَفضل تفكر، الْمَقْصد الأول إِثْبَات التَّوْحِيد الْمَقْصد الثَّانِي إِثْبَات الْمعَاد الْمَقْصد الثَّالِث إِثْبَات النبوات[٧]. ويكاد يتفق البيضاوي في حاشيته مع الشوكاني حيث قال: مقاصد القرآن أربعة توحيده تعالى ونفي عبادة غيره والأحكام، وأحوال المعاد، ثم قال: مقاصده صفاته تعالى والنبوات

---

[٥] محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (د.م: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م) ج١، ص١٠.

[٦] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٢، ص٣٥٣.

[٧] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص٤.

والأحكام والمواعظ[٨]. هذا وقد استعمل الأصوليون في مرادف لفظ المقاصد عدداً لا بأس به من الألفاظ: كالحكم، والحكمة، والأسرار، والغايات، والأهداف، والأغراض[٩].

تعريف المصطلحات المتعلقة بالبحث:

أولاً: تعريف مقاصد القرآن في اللغة والاصطلاح

١. المقاصد لغة: دلت كلمة المقاصد في اللغة على عدة معانٍ، نختار منها الآتي:

المعنى الأول: الاستقامة في كل شيء: ومنه: كانت صلاته «قصدًا». أصله الاستقامة في الطريق ثم استعير للتوسط، أي كانت صلاته متوسطة لا في غاية الطول ولا في غاية القصر، وهو لا يقتضي تساوي الخطبة والصلاة[١٠]. قال الفراهيدي: جاءت كلمة المقاصد من الفعل قصد، والقَصْدُ استقامة الطريقة، وقَصَدَ يقصِدُ قَصْداً فهو قاصد[١١]. ويقال: قصد في مشيه: مشى مشيا مستوياً[١٢]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] أي: تَبْيِينُ الطريق المستقيم الذي لا حرج فيه[١٣] والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة[١٤].

---

[٨] شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي**، (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت) ج٨، ص٤٠٥.

[٩] عبد الكريم حامدي، **مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ص٢٠-٢١.

[١٠] جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، (د.م: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ج٤، ص٢٧٧.

[١١] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت) ج٥، ص٥٤.

[١٢] أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ط، ١٣٧٧هـ/١٣٨٠هـ) ج٤، ص٥٧٥.

[١٣] محمد حسن حسن جبل، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ٢٠١٠م) ج٤، ص١٧٩٢.

[١٤] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ) ج٣، ص٣٥٣.

المعنى الثاني: التوسط والاعتدال وهو خلاف الإفراط[١٥]: ورد بالسند عن معاد بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «القصد القصد تبلغوا»[١٦]، أي عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل، وهو الوسط بين الطرفين[١٧]. قال الفراهيدي رحمه الله: والقَصْدُ في المعيشة ألا تسرف ولا تقتر[١٨]. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] جاء المقتصد: بين الظالم لنفسه والسابق بالخيرات[١٩]. يقول صاحب المعجم الاشتقاقي: ومنه "سَفَرٌ قاصد: أي غير شاق[٢٠] بل سهل قريب "فهو متوسط ليس بعيدًا، والمعنى المحوري لمعني قصد توسط الشيء في حاله[٢١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩] أي اعدِلْ فيه فلا تَتكبَّر، ولا تَدِبُّ دَبيبًا[٢٢].

المعنى الثالث: ومن معاني المقاصد اللغوية: الاعتزام والتوجه[٢٣] والأمُّ للشيء وإتيانه وإرادة تحقيقه عن عمد، وعرفت النية لغة: بالقصد والعزم، وشرعاً: القصد إلى فعل[٢٤]. يقال: إذا قصد للشيء فإنه يؤمّه[٢٥]،

---

[١٥] ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، **لسان العرب**، ج٣، ص٣٥٤.

[١٦] لم نجد هذا الحديث فيما بين أيدينا من المصادر من حديث معاذ، ومعناه ثابت في الصحاح عن غيره. تعليق: [تعليق أيمن صالح شعبان – ط دار الكتب العلمية] غريب: لم أقف عليه من حديث معاذ رضي الله عنه، وهو غريب من حديثه. وقد تقدم من حديث أبي هريرة وغيره. انظر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ) جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، (د.م: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ج١، ص٣١٨.

[١٧] جمال الدين الفَتَّنِي الكجراتي، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، ج٤، ص٢٧٧.

[١٨] أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، **كتاب العين**، ج٥، ص٥٥.

[١٩] أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)، **الغريبين في القرآن والحديث**، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ج٥، ص١٥٤٩.

[٢٠] ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، **لسان العرب**، ج٣، ص٣٥٣.

[٢١] محمد حسن حسن جبل، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، ج٤، ص١٧٩٢.

[٢٢] محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (المتوفى: ٥٨١هـ)، **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جدة: دار المدني، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ج٢، ص٧١٢.

[٢٣] أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، ج٤، ص٥٧٥.

[٢٤] محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، **التعريفات الفقهية**، (د.م: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص٢٣٤.

[٢٥] انظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م) ج١، ص٥٩. وانظر: أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي (المتوفى: ق ٦هـ)، إيضاح شواهد الإيضاح، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ج١، ص٢٥٨.

يقال: قصد بيت الله أي أراد الصلاة فيه. وكان بعض العرب يحلفون: أما والذي قصد المصلون بيته[٢٦]. ويقال: أنت عمدتنا، أي: الذي نقصد إليه في حوائجنا[٢٧]. كما يطلق على التيمم القصد، بمعنى أنه قصد التراب فتمسح به، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، ومعنى الآية: أن لا تقصدوا الخبيث في الإنفاق، والقصد هو الإرادة والحرد والعمد، قال تعالى: ﴿وغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥]. قالوا: على قصد ومنع الإنفاق[٢٨]. ولذلك فإن الخطأ يعرف على أنه ما وقع عن غير قصد الإنسان، ولم يرده، بل أراد غيره فوقع ذلك[٢٩]. كما ذكر السيوطي أن معنى الحج لغة: هو قصد الشيء وتحريدك له، ثم خص بقصد البيت[٣٠]. فهو سبحانه لا يضيع قصد قاصديه ويحاسب كل نفس على قصد صاحبها.

فالمقاصد القرآنية لها علاقة وثيقة بل قوية بالتدبر القرآني، لأنه بدون تدبر لا يمكننا الوصول إلى أي مقصد قرآني سواء على المستوى العام كمقصد الخلافة وعمارة الأرض وعبادة الله عز وجل دون سواه أم على المستوى الخاص، فهناك مقاصد وأسرار وضعها الشارع الحكيم لكل حكم من أحكام القرآن. فالمقاصد الخاصة وهي التي يهدف القرآن إلى تحقيقها في باب معين[٣١]. كالمقاصد في آيات المال، والمقاصد المستنبطة العقوبات والقضايا الاجتماعية كآيات النكاح والطلاق. يقول الريسوني: فنظرية المقاصد ينتجها النظر العقلي المنطقي القويم، الذي يرى أن شريعة الله، لا يمكن إلا أن تكون شريعة رحمة ويسر وعدل وتدبير مضبوط.

من جهة أخرى، فإن هذه المعاني السابقة تدل على أن المقصد له بداية ونهاية، فبدايته النية والاعتزام والتوجه ويمكن تسمية ذلك الوسائل، ونهايته تحقيق المراد والفهم والوصول إلى تحديد أصيل لمفهوم المقاصد القرآنية.

٢. تعريف المقاصد القرآنية في الاصطلاح:

---

[٢٦] محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)ج١، ص٩٨.

[٢٧] ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ)، **كتاب الألفاظ**، تحقيق: فخر الدين قباوة، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٨م) ص٤١٧.

[٢٨] ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ)، **إصلاح المنطق**، تحقيق: محمد مرعب، (د.م: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ص٤٢.

[٢٩] جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بـ «ابن المبرد» (المتوفى: ٩٠٩ هـ)، **الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي**، تحقيق: رضوان مختار بن غربيةن (جدة: دار المجتمع، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ج٣، ص٧٠٩.

[٣٠] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي منصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ج١، ص٣٣٢.

[٣١] انظر: أحمد الريسوني، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، (هيرندن – أميركا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص٨.

لم أجد عند المفسرين القدامي تفسيراً لمصطلح المقاصد القرآنية، لكن هذا لا يعني أن تفاسيرهم قد خلت من مضامينه، فالكيا الهراسي (ت: ٥٠٤هـ)، ذكر ذلك في كتابه أحكام القرآن، وفي مقدمة تفسيره لسورة الشعراء ذكر رحمه الله: سميت هذه السورة بهذا الاسم: لاختصاصها بتمييز الرسل عن الشعراء، لأن الشاعر، إن كان كاذباً، فهو رئيس الغواة لا يتصور منه الهداية، وإن كان صادقاً، لا يتصور منه الافتراء على الله تعالى، وهذا من أعظم مقاصد القرآن[٣٢].

أما الغزّالي (٥٠٥هـ) رحمه الله فقد استخدم هذا المصطلح في كتابه جواهر القرآن، فقال في الفصل الثاني: في حصر مقاصد القرآن ونفائسه، سِرُّ القرآن، ولُبَابُه الأصفى، ومقصدُهُ الأقصى، دعوَةُ العباد إلى الجَبَّار الأعلى، ربِّ الآخرةِ والأولى، خالق السماوات العُلَى، والأرَضين السُلفى، وما بينهما وما تحت الثَّرَى سِرُّ القرآن، ولُبَابُه الأصفى، ومقصدُهُ الأقصى، دعوَةُ العباد إلى الجَبَّار الأعلى، ربِّ الآخرةِ والأولى، خالق السماوات العُلَى، والأرَضين السُلفى، وما بينهما وما تحت الثَّرَى[٣٣].

يرى الريسوني وهو فارس من فرسان هذا العصر في مباحث المقاصد الشرعية: أن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد[٣٤]. ثم ألف كتاباً أسماه: مقاصد المقاصد، وذلك في ثلاثة فصول: مقاصد المقاصد في فهم الكتاب والسنة، ومقاصد المقاصد في الفقه والاجتهاد الفقهي، والفصل الثالث: حول المقاصد العملية للمقاصد. ولعل المقصد من تأليف هذا الكتاب هو الدعوة للتأليف نحو التفسير المقاصدي، وبعث الحياة في الدرس المقاصدي القرآني. ولهذا فقد عرف مقاصد القرآن بالآتي: هي التي أنزل القرآن لأجل بيانها للناس، وتوجيههم إليها وحثهم على إقامتها ورعايتها، بحيث نجد العناية بها، والقصد إلى تحقيقها في عامة سوره وأجزائه، سواء أكانت في عقائده، أم في أحكامه وآدابه، أم في قصصه أم في صنف من آياته[٣٥]. ثم ذكر أن مقاصد القرآن تنحصر في ثلاثة: توحيد الله وعبادته، الهداية الدينية والدنيوية للعباد، التزكية وتعليم الحكمة، إقامة الحق والعدل[٣٦]. وأما حامدي فقال: "مقاصد القرآن هي الغايات التي أنزل الله القرآن

---

[٣٢] علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى: ٥٠٤هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، (د.م: د.ن، ط٢، ١٤٠٥هـ) ج٤، ص٣٣٣.

[٣٣] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، **جواهر القرآن**، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، (بيروت: دار إحياء العلوم، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص٢٣.

[٣٤] أحمد الريسوني، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، (د.م: دار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص١٩.

[35] http://www.feqhweb.com/vb/t17444.html. Accessed on 17/08/2019.

[٣٦] أحمد الريسوني، **مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة**، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٣م) ص١١.

لأجلها تحقيقًا لمصالح العباد"[٣٧]. وأما التجاني، فقال: هي إدراك مراد الله تعالى من إنزال القرآن الكريم[٣٨]. وعرفتها هيا ثامر مفتاح: فقالت: إن مقاصد القرآن هي الأهداف الكبرى التي ساق الله عز وجل النظم القرآني تبياناً لها، وجعل من كليات القرآن وجزئياته، ومن تكراره وتناسب سوره وآياته، ومن وحدته الموضوعية، ودقائقه التحليلية.. جعل من كل ذلك ثوب عرس يحكي في مجمله هذه المقاصد والأهداف الكبرى[٣٩].

وعليه، فإنه يمكننا تعريف المقاصد القرآنية بأنها الوقوف على الحكم والأسرار والأهداف والمعاني والأغراض والغايات الأساسية التي تدور عليها سور القرآن لأجل تحقيقها لمصلحة المخاطبين. وأكبر الوسائل التي تعين على هذا العلم هو الوحدة الموضوعية للقرآن والوحدة الموضوعية للسورة، والمقصد الرئيس للسور القرآنية، وعلم المناسبات والسياق.

الأهمية العلمية لهذه الدراسة: هناك أهمية بالغة لدراسة مقاصد القرآن نختار منها ما يلي:

١. بيان أن مقاصد القرآن هي عين الحكمة التي من أجلها أنزل القرآن، ولقد كان أصل مقاصد الشريعة وعليها تدور مقاصد الشريعة ومنها تستمد.

٢. توضيح جهود الشيخ محمد رشيد رضا وتفاعلاته المنهجية مع مقاصد القرآن من خلال تفسيره المنار.

٣. الاستفادة من هذه الدراسة في تجلية تفاعلات رشيد رضا وكيف أنه أظهرت وجوه الإعجاز القرآنية وكامل الفصاحة والبلاغة والجزالة والنظم القرآني.

٤. توجيه العقل المسلم نحو منهجية علمية رصينة تقي المفسر من الوقوع في الخطأ بعد استقراء لسور القرآن وتفاعل منهجي مع مقاصدها.

الأهمية العملية والتطبيقية لهذه الدراسة: هناك فوائد عملية لهذه الدراسة نختار منها ما يأتي:

١. محاولة ربط علم المقاصد القرآني بواقع الأمة التفسيري ومحاولة تحسينه بكافة أنواع السبل. يقول الجويني: ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة[٤٠]. مثلاً: إن النكاح شرع لتحصين الزوجين من فاحشة الزنا وغيره من المقاصد[٤١].

---

[٣٧] عبد الكريم حامدي، **مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**، ص٢٩.

[٣٨] علي البشر الفكي التجاني، **مقاصد القرآن الكريم وصلتها بالتدبر**، ص٥-٦.

[٣٩] هيا ثامر مفتاح، **مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور**، جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلة الكلية، العدد: ٢٩/ ٢٠١١م، المجلد: (٢٩) ٢٠١١م، ص٢٣-٢٤.

[٤٠] عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، **البرهان في أصول الفقه**، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ج١، ص١٠١.

[٤١] الجويني، **البرهان في أصول الفقه**، ج٢، ص٧٥.

٢. الاستفادة من منهج الشيخ رشيد رضا في التفاعل المنهجي مع مقاصد القرآن، وكيفية استنباطه لهذه المقاصد من القرآن. وخصوصاً أن الرجل وبلا منازع مفكراً ومصلحاً وعالماً جمع بين علوم الدين واللغة والدنيا.
٣. التقليل من مناهج التفسير التقليدية المتكئة على المناهج القديمة، وإدخال المقاصد القرآنية والتفاعل معها كشرط جديد من شروط التفسير الحديثة.

سبب اختيار رشيد رضا لموضوع هذه الدراسة: (دراسة حالة المقاصد القرآنية عند رشيد رضا)

هناك مشكلة حقيقة في التفسير القرآني الحديث، إذ أن كثيراً ممن فسر القرآن فسره بعيداً عن الرؤية المقاصدية على عكس رشيد رضا، فقد كان منذ الصغر يمشي في مسارات علمية توصله إلى التفاعل المنهجي مع المقاصد القرآنية لأنه كان وطيد الصلة بقضايا الناس. واستطاع أن يوظف المقاصد القرآنية في تقديم حلول لمشاكلهم الاجتماعية والتربوية والمالية....وهذا سر اختيارنا لمقاصد رشيد رضا حيث اشتملت على حلول عملية لمشاكل العصر. فهناك عدد لا بأس به من الأسباب التي جعلتنا نختار هذا العلم العبقري لمادة مقاصد القرآن، نختار منها الآتي:

شخصية الرجل: لا أبالغ إن قلت إن شخصية رشيد رضا من ألمع شخصيات تاريخنا الحديث على مستوى التاريخ والتفسير والإصلاح والفكر المقاصدي القرآني، وخصوصاً أنه تلميذ بارع للشيخ محمد عبده، فهو يمتلك شخصية ذات مواهب عديدة، كيف لا وهو الذي ورث العلم عن شيخه جمال الدين الأفغاني. فتأثير هذه الشخصية على العلم الديني الحديث لا يجادل فيه عاقل متعلم له منطق. بل إن شخصية رشيد رضا وبلا منازع شخصية تفكرية تدبرية محاطة بالعبقرية، وساهمت في صنع حضارة محاطة بالتفسير المقاصدي والتاريخ والإنسانية الاجتماعية والأخلاق. كما أنني لا أبالغ إن قلت إن من يكتفي بدراسة تفسيره فقد اكتفى علماً وفهماً ومقصداً وغاية وأسراراً لكتاب الله عز وجل. غير أنه لم يكمل هذا العمل الحضاري الرائع.

اهتمامه بالإصلاح الديني: لا شك أن سجل رشيد رضا حافل بفكرة الإصلاح الديني، حيث كان له تأثير كبير على منطقه وقلمه، فقد كان شديد الغيرة على دين الله، وخصوصاً أنه تأثر بشخصية أبي حامد الغزالي، فقد وجدت اسم الغزالي في تفسير المنار أربع وسبعين مرة، غير أنه كان يعبر عند الحديث عن محمد عبده، شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وقد اقتبس عن شيخه حوالي (٨٣٥) مرة.

رؤيته للقرآن على أنه ليس كتاباً نظرياً خالٍ من الواقعية، بل هو كتاب هداية فعلية.

تعلقه بالإصلاح الاجتماعي والتربوي والتعليمي والسياسي: كان يؤمن رحمه الله أن تفهيم العوام من أجلِّ المقاصد التي جاء لأجلها القرآن. وأن القرآن هو أساس حقيقي ومنطلق يقيني لكل أنواع الإصلاحات، وكان

يرى أن البيئة التي تعيشها الأمة بيئة فاسدة مليئة بالمعوقات الحضارية ولهذا فقد حارب بقوة التقليد والبدع التي تقف حائلاً أمام التجديد الفكري في نفس القوة التي حارب بها الاستعمار، كما حارب المرويات الإسرائيلية والعقليات الخرافية والشركيات والجمود الفكري وحصر الدين في جزئيات فقهية ولهذا فقد انتقد علماء الأزهر، كما انتقد السحر والشعوذة وأهلهما، كما أنه يرى أن ذلك مقصد عظيم بل هو أهم المقاصد القرآنية على الإطلاق لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] فهو يعتبر كل ذلك مقصد من مقاصد الغزو الفكري. وحاول بكل ما أوتي من قوة أن يثبت أن دين الإسلام هو دين روحي وجسمي، بمعنى أنه دين دنيوي ودين أخروي. كما أن الإصلاح الحقيقي يبدأ من النفس، على اعتبار ان التربية لا بد أن تكون متكاملة، بمعنى: تربية بدنية ونفسية وعقلية ودينية، وأن مصدر هذه الأنواع التربية هو العقل ثم القرآن.

تعلق قلبه بمقاصد القرآن: قبل الحديث عن مقاصد القرآن عند رشيد رضا: نقول إن تفسير المنار هو عبارة عن دروس شفوية كان يلقيها الشيخ محمد عبده في بداية شهر محرم من عام ١٣١٧هـ، واستمرت هذه الدروس حتى سنة ١٣٢٣هـ وقد وصل الإمام إلى الآية: ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦][٤٢]، وكان وظيفة الشيخ رشيد رضا تحرير هذه الدروس ونشرها في مجلته المشهورة: مجلة المنار[٤٣].. ولذلك سمي هذا التفسير: بـ تفسير المنار، والصحيح أنه كان له اسم آخر هو: تفسير القرآن الحكيم. ثم استأنف هذه الدروس وهذا التفسير الشيخ محمد رشيد رضا بعد وفاة شيخه محمد عبده. يقول رحمه الله في بداية التفسير:

وَإِنَّنِي لَمَّا اسْتَقْلَلْتُ بِالْعَمَلِ بَعْدَ وَفَاتِهِ خَالَفْتُ مَنْهَجَهُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – بِالتَّوَسُّعِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْآيَةِ مِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، سَوَاءٌ كَانَ تَفْسِيرًا لَهَا أَوْ فِي حُكْمِهَا، وَفِي تَحْقِيقِ بَعْضِ الْمُفْرَدَاتِ أَوِ الْجُمَلِ اللُّغَوِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَفِي الْإِكْثَارِ مِنْ شَوَاهِدِ الْآيَاتِ فِي السُّوَرِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَفِي بَعْضِ الِاسْتِطْرَادَاتِ لِتَحْقِيقِ مَسَائِلَ تَشْتَدُّ حَاجَةُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تَحْقِيقِهَا، بِمَا يُنَبِّهُهُمْ بِهِدَايَةِ دِينِهِمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ، أَوْ يُقَوِّي حُجَّتَهُمْ عَلَى خُصُومِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُبْتَدِعَةِ، أَوْ يَحِلُّ بَعْضَ الْمُشْكِلَاتِ الَّتِي أَعْيَا حَلُّهَا بِمَا يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ وَتَسْكُنُ إِلَيْهِ النَّفْسُ[٤٤].

خلاصة القول في هذه النقطة، أن رشيد رضا لم يستطع التخلص كلياً من أفكار شيخه محمد عبده، بل إن

[٤٢] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١، ص١٤.

[٤٣] صدر العدد الأول من مجلة المنار في: ٢٢ من شوال، عام ١٣١٥هـ الموافق من شهر مارس عام ١٨٩٨م. وأصبحت مجلته وبكل فخر واعتزاز المجلة الإسلامية الأولى على مستوى العالم الإسلامي. انظر:

https://www.marefa.org/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF_%D8%B1%D8%B6%D8%A7

[٤٤] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١، ص١٦.

منهج محمد عبده ظل يسيطر على خيال رشيد رضا وخصوصاً في الدرس الاجتماعي والسنن الحياتية وما يتعلق بالحضارة والتاريخ.

والنقطة التي تؤخذ على رشيد رضا في التعامل مع مقاصد القرآن والتي أكد عليها بعض الباحثين من أمثال حللي: أن مقاصد القرآن لم يتم استقراؤها بشكل تام من قبل الذهنية الرشيدية، بل جمعها بشكل عفوي لتعلقها بالإصلاح، لأن الرؤية الإصلاحية سيطرت على ذهنيته وطريقة تفكيره. لكن كما قال عبد الرحمن حللي أن رشيد رضا قد ربط حقاً مقاصد القرآن بمركزية البعد الهدائي للقرآن[٤٥]. ولعل ابن عاشور استفاد من هذا المقصد فعده مقصداً أساسياً من مقاصد القرآن.

مقاصد القرآن عند الإمام رشيد رضا (ت:١٩٣٥م): يقول رضا: إن ما أنزل لأجله القرآن الكريم، أربعة: الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح"[٤٦]. وفي مكان آخر بين بالتفصيل مقاصد القرآن، حيث قال:

"**المقصد الأول: الْإِصْلَاحُ الدِّينِيُّ لِأَرْكَانِ الدِّينِ الثَّلَاثَةِ**"[٤٧]. وأن أركان الدين الثلاثة التي بعث بها جميع رسل الله، قد بينتها آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

الركن الأول: يرى رشيد رضا أن الركن الأعظم من هذه الأركان الثلاثة هو الإيمان بالله عز وجل، وهذا الركن قد ضلت فيه جميع الشعوب والأمم، حتى أقربهم عهداً بهداية الرسل. ثم جاء باستدلال على ما ادعى من الأمم الآتية:

اليهود: يرى رشيد رضا أن اليهود ضلوا ضلالاً بعيداً في مسألة الإيمان بالله عز وجل، لأنهم جعلوا الله كالإنسان، والإنسان يتعب ويندم على ما فعل، وقد ندم الإله على خلقه للإنسان، لأنه لم يكن يعلم أنه سيكون مثله. كما زعموا أن الإله كان يظهر في شكل الإنسان، حتى إنه صارع إسرائيل ولم يقدر على التفلّت منه حتى باركه فأطلقه. كما أنهم عبدوا بعلاً وغيره من الأصنام[٤٨].

---

[٤٥] عبد الرحمن حللي، **مقاربات مقاصد القرآن الكريم: دراسة تاريخية**، مجلة التجديد، المجلد العشرون، العدد التاسع والثلاثون أ، عدد خاص بالمقاصد. ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م) ص٢١١.

[٤٦] محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ج١، ص١٠.

[٤٧] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٧١، وما بعدها.

[٤٨] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٧١.

النصارى: يرى رشيد رضا أن النصارى قد جددوا من عهد قسطنطين الوثنيات القديمة، حتى صارت كنائسهم مجرد هياكل وثنية مملوءة بالصور والتماثيل المعبودة. ناهيك عن أن عقيدة التثليث والصلب والفداء هي عقيدة هندية في كرْشَنَة، وأن الثالوث في جملتها وتفصيلها، وهي مدعومة بفلسفات خيالية لا حقيقة لها، وبنظام يقوم بتنفيذه الملوك والقياصرة، ووَيُبْذَلُ فِي سَبِيلِهِ الْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَيُرَبَّى عَلَيْهِ الْأَحْدَاثُ مِنَ الصِّغَرِ تَرْبِيَةً وِجْدَانِيَّةً خَيَالِيَّةً لَا تَقْبَلُ حُجَّةً وَلَا بُرْهَانًا، فَهَدْمُ مَعَاقِلِ هَذِهِ الْوَثَنِيَّةِ وَحُصُونِهَا الْمُشَيَّدَةِ فِي الْأَفْكَارِ وَالْقُلُوبِ مَا كَانَ لِيَتِمَّ بِإِقَامَةِ بُرْهَانٍ عَقْلِيٍّ أَوْ عِدَّةِ بَرَاهِينَ عَلَى تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ فِيهِ مِنْ دَحْضِ الشُّبَهَاتِ وَتَفْصِيلِ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالْخَطَابِيَّةِ بِالْعِبَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ ; لِذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ الْمَسَائِلِ تَكْرَارًا فِي الْقُرْآنِ مَسْأَلَةَ تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أُلُوهِيَّتِهِ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَاعْتِقَادِ أَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ سَوَاءٌ فِي كَوْنِهِمْ مِلْكًا وَعَبِيدًا لَهُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ دُونِهِ نَفْعًا وَلَا ضُرًّا لِأَحَدٍ وَلَا لِأَنْفُسِهِمْ إِلَّا فِيمَا سَخَّرَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ[٤٩].

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع الركن الأول:

١. يعتبر رشيد رضا الركن الأعظم من أركان الدين الثلاثة هو الإيمان بالله عز وجل، الذي ضلت فيه الشعوب والأمم على مر العصور.

٢. يستند رضا من خلال تفاعلاته مع المقاصد القرآنية إلى استدلالات لتوضيح ضلال اليهود في مسألة الإيمان بالله، حيث جعلوا الله كالإنسان وعبدوا الأصنام.

٣. يشير رشيد رضا إلى تجديد النصارى للوثنيات القديمة وتحول كنائسهم إلى معابد مملوءة بالصور والتماثيل.

٤. يرى رضا أن مفهوم التثليث والصلب والفداء عقائد هندية، ويقوم بنظام ينفذه الملوك والقياصرة بدعم من الفلسفات الخيالية.

٥. يبرز رشيد رضا أن التوحيد هو أكبر مسألة مكررة في القرآن، ويقترن بفكرة عبادة الله وحده ورفض الشرك والإيمان بأن كل الكائنات هي ملك لله فحسب.

الركن الثاني: وهو الإيمان باليوم الآخر: وهو اليوم الذي يكون فيه البعث والحسات والجزاء على الأعمال، وهذا أنكره مشركوا العرب أشد الإنكار، على الرغم من أن الإيمان بالله لا يكمل بدونه. ولما حرّفت كتب أهل الكتاب استحوذت عليها الوثنية، وشابه إيمانهم بدعٌ هندية وثنية، وآمن النصارى تماماً كما يؤمن الهنود بوجود مخلّص فادي، يخلّص الناس من عقوبة الخطايا ويفديهم بنفسه. ثم يرى رشيد رضا أن كل ما يقوله النصاري في

[٤٩] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٧١-١٧٢.

فداء المسيح للبشر هو نسخة مطابقة لما يقوله الهنود في كرشنة في اللفظ والمحتوى، لا يختلفان إلا في الإسمين: كرشنة، ويسوع[٥٠].

أما اليهود فقد اعتقدوا أن ديانتهم خاصة بشعب إسرائيل، وأن الله يحابيهم ويدنيهم منه أكثر من باقي الشعوب، ولذلك يسمون الله: إله إسرائيل، كأنه ربهم وحدهم لا ربُّ العالمين، وَدِيَانَتُهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْمَادِّيَّةِ مِنْهَا إِلَى الرُّوحِيَّةِ[٥١]. يقول الرازي: وَأَتَمُّ الْمَقَاصِدِ نَعِيمُ الْجَنَّةِ[٥٢].

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع الركن الثاني:

١. يعتبر رشيد رضا الركن الثاني من أركان الدين هو الإيمان باليوم الآخر، وهو اليوم الذي يشمل البعث والحساب والجزاء على الأعمال.

٢. يشير رضا إلى أن الشرك بالله في هذا الركن كان أشد إنكارًا من قبل مشركي العرب، على الرغم من أن الإيمان بالله لا يكتمل بدونه.

٣. يؤكد رشيد رضا على تحريف كتب أهل الكتاب وانتقال الوثنية إليهم، وكذلك امتزاج إيمانهم بعقائد هندية وثنية، وذلك على غرار اعتقاد النصارى في فداء المسيح للبشر على غرار معتقد الهنود في كرشنة.

٤. يوضح رشيد رضا أن اليهود اعتقدوا في خصوصية ديانتهم وتفضيل الله لهم على غيرهم، وهو اعتقاد يميل إلى المادية أكثر من الروحانية.

٥. يستشهد رشيد رضا بقول الرازي لإظهار أن تمام المقاصد يكون بالنعيم في الجنة، مما يبرز أهمية الإيمان باليوم الآخر كركن أساسي من أركان الدين.

الركن الثالث: وهو العمل الصالح: فَهُوَ مُكَرَّرٌ فِي الْقُرْآنِ فِي سُوَرٍ كَثِيرَةٍ ; لِإِصْلَاحِ مَا أَفْسَدَهُ الْبَشَرُ فِيهِ بِجَعْلِهِ تَقْلِيدِيًّا غَيْرَ مُزَكٍّ للنَّفْسَ وَلَا مُصْلِحٍ لِشُئُونِ الِاجْتِمَاعِ. ثم قال رحمه الله: وَلَوْلَا الْحَاجَةُ إِلَى هَذَا التَّكْرَارِ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّأْثِيرِ لَكَانَتْ سُورَةُ الْعَصْرِ كَافِيَةً فِي الْإِصْلَاحِ الْعِلْمِيِّ الْعَمَلِيِّ عَلَى قِصَرِهَا، كَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ فِي الرُّكْنِ الْأَوَّلِ الِاعْتِقَادِيِّ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا تُكْتَبُ فِي سَطْرٍ وَاحِدٍ، فَهُمَا مِنْ مُعْجِزَاتِ إِيجَازِ الْقُرْآنِ وَهِدَايَتِهِ[٥٣].

وَيَدْخُلُ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْعِبَادَاتُ الَّتِي يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَسَائِرُ أَعْمَالِ الْبِرِّ الَّتِي تُرْضِيهِ بِمَا لَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي صَلَاحِ الْبَشَرِ كَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِكْرَامِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ. وَمِنْ أُصُولِهِ الْوَصَايَا الْجَامِعَةُ فِي

[٥٠] انظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٧٤.

[٥١] انظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٧٤.

[٥٢] أبو عبد الله فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج٢٩، ص٣٤٨.

[٥٣] انظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٧٧.

آيَاتِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ (١٧: ٢٣ – ٣٩) إِلَخْ وَهِيَ أَجْمَعُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْوَصَايَا الْعَشْرِ الَّتِي فِي التَّوْرَاةِ[٥٤].

وَسُنَّةُ الْقُرْآنِ فِي الْإِرْشَادِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَيَانُ أُصُولِهَا وَمَجَامِعِهَا، وَتَكْرَارُ التَّذْكِيرِ بِهَا بِالْإِجْمَالِ، وَأَكْثَرُ مَا يَحُثُّ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ الْعِبَادَةُ الرُّوحِيَّةُ الْعُلْيَا وَالِاجْتِمَاعِيَّةُ الْمُثْلَى، وَالزَّكَاةُ الَّتِي هِيَ الْعِبَادَةُ الْمَالِيَّةُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ الْكُبْرَى، كَرَّرَ الْأَمْرَ بِهِمَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ وَبَيَّنَ أَهَمَّ مَنَافِعِهِمَا[٥٥]. وقصد بالإصلاح الديني إصلاح الْإِيمَانُ بِاللهِ تَعَالَى، وعقيدة البعث والجزاء، والعمل الصالح. فإن هذا المقصد هو أسمى المقاصد القرآنية لأن فيه تقرير لعقيدة هذا الدين العظيم، وفي نفس الوقت فقد امتلأ القرآن بالآيات التي تحذر من الشرك والكفر محذرة منهما ومن الوقوع فيها فمن أشرك فقد حرم المغفرة والرحمة الواسعة الإلهية. فالهدف من عرض هذا المقصد معرفة سبل النجاة والخير والسلامة منها فإن تودي في مهاوي الردى. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]. يقول القاسمي: قال المهايمي: إن قصة أصحاب الكهف قصة جامعة لفوائد الإيمان بالله وهذا من أعظم مقاصد القرآن[٥٦].

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع الركن الثالث:

١. يعتبر الركن الثالث من أركان الدين هو العمل الصالح، والذي يتكرر ذكره في القرآن في العديد من السور.

٢. يرى رشيد رضا أن العمل الصالح يسعى لإصلاح ما أفسده البشر، ويحذر من جعله تقليديًا غير مفيد للنفس ولشؤون المجتمع.

٣. يشير رشيد رضا إلى أن القرآن تكرر فيه الحديث عن العمل الصالح للتذكير والتأثير، ويقدم القرآن الكريم الوصايا الجامعة في سور مثل الإسراء لتوضيح أهمية وأصول الأعمال الصالحة.

٤. يرتبط الإصلاح الديني بتقوية الإيمان بالله، وعقيدة البعث والجزاء، والعمل الصالح، ويعتبر ذلك من أسمى المقاصد القرآنية.

٥. يتناول القرآن في سوره موضوعات مختلفة تحذر من الشرك والكفر وتبين سبل النجاة، ومن أبرز الأمثلة قصة أصحاب الكهف التي تجسد فوائد الإيمان بالله.

[٥٤] انظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٧٧.

[٥٥] انظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٧٨.

[٥٦] القاسمي، **محاسن التأويل**، ج٧، ص٣.

الْمَقْصِدُ الثَّانِي مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: بَيَانُ مَا جَهِلَ الْبَشَرُ مِنْ أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَوَظَائِفِ الرُّسُلِ[٥٧]. ذلك أن تعظيم الرسل وتصديقهم من أعظم مقاصد القرآن، كما أن من عاندهم مؤاخذ أشد المؤاخذة[٥٨]. وهذا المقصد أيضاً استفاد منه ابن عاشور وعده من مقاصد القرآن الأساسية. وقد عده المقصد السادس. وقد ذكر رشيد رضا أن العرب كانت تنكر الوحي والرسالة والنبوة، بسبب استبعاد عقولهم لفكرة اختصاص الله للوحي بعض البشر، فكيف يفضلون على غيرهم به، رغم أنهم متساوون في الصفات البشرية، وهذا أيضاً فعلته يهود، الذين أنكروا أن يختص الله الوحي من غير اليهود، وكأن باقي البشر ليسوا من عباد الله الذين خلقهم بيديه سبحانه. ولذلك تجرأوا على الأنبياء ووصفوهم بم لا يليق: بالكذب والخداع والاحتيال على الله، وأن بعضاً منهم يتصارعون مع الله، وأن الأنبياء يرتكبون الكبائر من الذنوب، والغريب أن النصارى أيضاً وافقوهم على هذه الترّهات، وأثبتوا قداسة غير الأنبياء من رسل المسيح وعبدوهم أيضاً[٥٩].

ثم قال رشيد رضا رحمه الله: وَلِضَلَالِ جَمِيعِ أَهْلِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ فِي ذَلِكَ، كَرَّرَ هَذَا الْإِصْلَاحَ فِي كَثِيرٍ مِنَ السُّوَرِ بِالتَّصْرِيحِ بِأَنَّ الرُّسُلَ بَشَرٌ مِثْلُ سَائِرِ الْبَشَرِ يُوحَى إِلَيْهِمْ، وَبِأَنَّهُمْ لَيْسُوا إِلَّا مُبَلِّغِينَ لِدِينِ اللهِ تَعَالَى الْمُوحَى إِلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَى لِخَاتَمِهِمُ الْمُكَمِّلِ لِدِينِهِمْ فِي خَاتِمَةِ سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] الْآيَةَ. وَقَالَ فِي جُمْلَتِهِمْ مِنْ وَسَطِهَا: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦] [٦٠]. وَمِمَّا بَيَّنَهُ الْقُرْآنُ فِي مَسْأَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ أَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللهِ تَعَالَى، وَعَدَمِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِبَعْضِهِمْ وَالْكُفْرِ بِبَعْضٍ كَالْكُفْرِ بِهِمْ كُلِّهِمْ. وَقَدِ انْفَرَدَ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْعَادِلَةِ الْمُسْلِمُونَ دُونَ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ[٦١].

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع المقصد الثاني:

١. المقصد الثاني من مقاصد القرآن هو بيان ما جهله البشر من أمر النبوة والرسالة ووظائف الرسل.

٢. يركز هذا المقصد على تعظيم الرسل وتصديقهم، ويعتبر مقصدًا أساسيًا في القرآن.

٣. يعتبر رشيد رضا وابن عاشور هذا المقصد من المقاصد الأساسية في القرآن.

٤. يشير رشيد رضا إلى رفض العرب واليهود لفكرة النبوة والرسالة بسبب استبعادهم للوحي من غير البشر.

٥. يجسد القرآن الكريم أهمية الرسل ودورهم من خلال العديد من الآيات التي تحذر وتوجه الإنسانية.

---

[٥٧] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٨٠.

[٥٨] انظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج٦، ص٣٢٧.

[٥٩] انظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٨٠.

[٦٠] انظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٨٠.

[٦١] انظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص١٨٢.

وأما "الْمَقْصِدُ الثَّالِثُ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: بَيَانُ أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَالْعَقْلِ وَالْفِكْرِ، وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَالْبُرْهَانِ وَالْحُجَّةِ، وَالضَّمِيرِ وَالْوِجْدَانِ، وَالْحُرِّيَّةِ وَالِاسْتِقْلَالِ"[٦٢].

قَدْ أَتَى عَلَى الْبَشَرِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الدِّينِ إِلَّا أَنَّهُ تَعَالِيمُ خَارِجَةٌ عَنْ مُحِيطِ الْعَقْلِ، كُلِّفَ الْبَشَرُ بِهَا مُقَاوَمَةَ فِطْرَتِهِمْ، وَتَعْذِيبَ أَنْفُسِهِمْ، وَمُكَابَرَةَ عُقُولِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ، خُضُوعًا لِلرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ يُلَقِّنُونَهُمْ إِيَّاهَا، فَإِنِ انْقَادُوا لِسَيْطَرَتِهِمْ عَلَيْهِمْ بِهَا كَانُوا مِنَ الْفَائِزِينَ، وَإِنْ خَالَفُوهُمْ سِرًّا أَوْ جَهْرًا كَانُوا مِنَ الْهَالِكِينَ. حَتَّى إِذَا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيُزَكِّيهِمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ الْمُبِينِ – بَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ دِينَ اللهِ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ الْفِطْرَةِ، وَالْعَقْلِ وَالْفِكْرِ، وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَالْبُرْهَانِ وَالْحُجَّةِ، وَالضَّمِيرِ وَالْوِجْدَانِ، وَالْحُرِّيَّةِ وَالِاسْتِقْلَالِ، وَأَنْ لَا سَيْطَرَةَ عَلَى رُوحِ الْإِنْسَانِ وَعَقْلِهِ وَضَمِيرِهِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَإِنَّمَا رُسُلُ اللهِ هُدَاةٌ مُرْشِدُونَ، مُبَشِّرُونَ وَمُنْذِرُونَ[٦٣]. ولأجل هذا وغيره، أقام الله الحجة على جميع الخلق بشكل كامل، حيث جعل كتابه معجزة متكاملة، وأظهر فيه معجزات كثيرة، وجعل أمر هذا الدين على يدي النبي الكريم محمد حيث زوده بعدد مهول من المعجزات القولية والفعلية.

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع المقصد الثالث:

١. يؤكد القرآن على أهمية إعمال العقل والفكر، وإبراز دور العلم والحكمة في كل القضايا التي تنفع الملة والأمة.

٢. يوضح القرآن من خلال خطابه المقاصدي على أهمية استخدام البرهان والحجة في التبليغ، كما يؤكد القرآن على أهمية إحياء الضمير والوجدان كذلك.

٣. يحث القرآن على التمتع بالحرية والاستقلال الفكري، كما يبين في خطابه أن البشر ملزمون بمقاومة فطرتهم وعقولهم تحت ضغط الرؤساء الذين يلقنون لهم دينًا آخر.

٤. ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، تبين أن القرآن دين الفطرة والعقل والفكر، وأن الله أقام الحجة على جميع الخلق بشكل كامل عن طريق كتابه المعجز ومعجزات النبي محمد الكريم صلى الله عليه وسلم.

والْمَقْصِدُ الرَّابِعُ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: "الْإِصْلَاحُ الِاجْتِمَاعِيُّ الْإِنْسَانِيُّ وَالسِّيَاسِيُّ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بِالْوَحَدَاتِ الثَّمَانِ: وَحْدَةُ الْأُمَّةِ – وَحْدَةُ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ – وَحْدَةُ الدِّينِ – وَحْدَةُ التَّشْرِيعِ بِالْمُسَاوَاةِ فِي الْعَدْلِ –

[٦٢] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٠٠.

[٦٣] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٠٠.

وَحْدَةُ الْأُخُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ وَالْمُسَاوَاةِ فِي التَّعَبُّدِ – وَحْدَةُ الْجِنْسِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ – وَحْدَةُ الْقَضَاءِ – وَحْدَةُ اللُّغَةِ"[٦٤]. وهذا المقصد قد استفاد منه ابن عاشور وعده مقصداً رابعاً من مقاصد القرآن الأساسية.

جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالْبَشَرُ أَجْنَاسٌ مُتَفَرِّقُونَ، يَتَعَادَوْنَ فِي الْأَنْسَابِ وَالْأَلْوَانِ وَاللُّغَاتِ وَالْأَوْطَانِ وَالْأَدْيَانِ، وَالْمَذَاهِبِ وَالْمَشَارِبِ، وَالشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ، وَالْحُكُومَاتِ وَالسِّيَاسَاتِ، يُقَاتِلُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مُخَالِفَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الرَّوَابِطِ الْبَشَرِيَّةِ وَإِنْ وَافَقَهُ فِي الْبَعْضِ الْآخَرِ، فَصَاحَ الْإِسْلَامُ بِهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً دَعَاهُمْ بِهَا إِلَى الْوَحْدَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَامَّةِ الْجَامِعَةِ وَفَرَضَهَا عَلَيْهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالتَّعَادِي وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ[٦٥]. يقول رشيد رضا: هَذِهِ الثَّوْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَحْدُثَ إِلَّا عَلَى قَاعِدَةِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] وَكَيْفَ يَكُونُ تَغْيِيرُ الْأَقْوَامِ لِمَا بِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْأَخْلَاقِ وَالصِّفَاتِ، الَّتِي طَبَعَتْهَا عَلَيْهَا الْعِبَادَاتُ الْمَوْرُوثَةُ وَالْعَادَاتُ الرَّاسِخَةُ؟

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع المقصد الرابع: تظهر معالم هذه المنهجية في النقاط الآتية:

١. **رشيد رضا يرى أن الإسلام يسعى إلى تحقيق وحدة الأمة الإسلامية وجمع البشرية تحت راية واحدة، بعيداً عن التفرقة العرقية أو الوطنية.**
٢. **يرى رضا أن الشريعة الإسلامية ليست مجرد نظام ديني، بل هي إطار شامل يمكن أن يوحد الناس ويعزز العدالة في المجتمع.**
٣. **يؤكد رضا على أهمية الروابط الروحية والأخوة بين المسلمين، ويعتقد أن هذه الروابط يمكن أن تمتد إلى التعاون الدولي لتعزيز السلام والعدالة.**
٤. **يرى رضا أن النظام القضائي الموحد واللغة المشتركة يمكن أن يساهما في تعزيز وحدة الأمة وتقوية الروابط بين المجتمعات الإسلامية.**
٥. **رشيد رضا يطبق فهماً عملياً لمقاصد الشريعة الإسلامية، مما يعكس إيمانه بأن القرآن ليس مجرد كتاب نظري، بل دليل عملي للحياة.**
٦. **رضا يؤمن بأن الإسلام يعزز الوحدة البشرية ويشجع على نبذ الصراعات الثقافية والدينية التي تفرق بين الناس.**
٧. **أكد أن الثورة الإنسانية لا يمكن أن تحدث إلا من خلال التغيير الذاتي، مستشهداً بالآية القرآنية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. حيث يرى أن التغيير الحقيقي**

---

[٦٤] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢١٠.

[٦٥] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢١٠.

يبدأ من الداخل بتحول المعتقدات والأخلاق والصفات الشخصية التي شكلتها العادات والتقاليد الموروثة. كما أكد رضا على أهمية إصلاح الذات وتغيير القيم الأخلاقية، معتبراً أن التغيير الاجتماعي يعتمد على التحولات العميقة في العقائد والأخلاق الشخصية.

الْمَقْصِدُ الْخَامِسُ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: "تَقْرِيرُ مَزَايَا الْإِسْلَامِ الْعَامَّةِ فِي التَّكَالِيفِ الشَّخْصِيَّةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْمَحْظُورَاتِ"[٦٦]. وهذا المقصد أيضاً قد استفاد منه ابن عاشور وعده مقصداً ثالثاً من مقاصد القرآن الأساسية. وَنُلَخِّصُ أَهَمَّهَا بِالْإِجْمَالِ فِي عَشْرِ جُمَلٍ:

١. كَوْنُهُ وَسَطًا جَامِعًا لِحُقُوقِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَمَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

٢. كَوْنُ غَايَتِهِ الْوُصُولَ إِلَى سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ بِالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَمَعْرِفَةِ اللهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، لَا بِمُجَرَّدِ الِاعْتِقَادِ وَالِاتِّكَالِ، وَلَا بِالشَّفَاعَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ.

٣. كَوْنُ الْغَرَضِ مِنْهُ التَّعَارُفَ وَالتَّأْلِيفَ بَيْنَ الْبَشَرِ، لَا زِيَادَةَ التَّفْرِيقِ وَالِاخْتِلَافِ.

٤. كَوْنُهُ يُسْرًا لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا عُسْرَ وَلَا إِرْهَاقَ وَلَا إِعْنَاتَ.

٥. مَنْعُ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَإِبْطَالُ جَعْلِهِ تَعْذِيبًا لِلنَّفْسِ، بِإِبَاحَةِ الطَّيِّبَاتِ وَالزِّينَةِ بِدُونِ إِسْرَافٍ وَلَا كِبْرِيَاءَ.

٦. قِلَّةُ تَكَالِيفِهِ وَسُهُولَةُ فَهْمِهَا.

٧. انْقِسَامُ التَّكْلِيفِ إِلَى عَزَائِمَ وَرُخَصٍ.

٨. نُصُوصُ الْكِتَابِ وَهَدْيُ السُّنَّةِ مُرَاعًى فِيهِمَا دَرَجَاتُ الْبَشَرِ فِي الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ وَضَعْفِهَا، فَالْقَطْعِيُّ مِنْهَا هُوَ الْعَامُّ، وَغَيْرُ الْقَطْعِيِّ تَتَفَاوَتُ فِيهِ الْأَفْهَامُ، فَيَأْخُذُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْهُ بِمَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُقِرُّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِ عَلَى اجْتِهَادِهِ.

٩. مُعَامَلَةُ النَّاسِ بِظَوَاهِرِهِمْ وَجَعْلُ الْبَوَاطِنِ مَوْكُولَةً إِلَى اللهِ تَعَالَى.

١٠. مَدَارُ الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا عَلَى اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الظَّاهِرِ[٦٧].

توضيح أن الإسلام يُعتبر وسطًا جامعًا يُحقق توازنًا بين حقوق الروح والجسد ومصالح الدنيا والآخرة.

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع المقصد الخامس:

من خلال تفاعلاته المنهجية مع هذا المقصد أظهر رشيد رضا التأكيد على أن الهدف الرئيسي من الإسلام هو تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة من خلال تزكية النفس بالإيمان الصحيح والأخلاق الحميدة. كما ساهم

[٦٦] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢١٥.

[٦٧] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢١٦-٢١٧.

ذلك التفاعل في تعزيز فكرة التعارف والتأليف بين البشر دون زيادة في التفريق والاختلاف، ومنع المبالغة في الدين وجعله وسيلة للتطهير النفسي دون إرهاق أو صعوبة. من جهة أخرى ساهم تفاعل رشيد رضا مع هذا المقصد في تسهيل فهم الأحكام الشرعية وتقليل تكاليفها وتقسيم التكاليف إلى عزائم ورخص تبعًا للظروف، ومراعاة التنوع في الفهم والاجتهاد وقبول الرأي الشخصي بناءً على الجهد المبذول. والتعامل مع الناس بمظاهرهم الظاهرة وترك الأمور الداخلية لله. وتأكيد أن مدار العبادات يقوم على اتباع النبي في الظواهر.

الْمَقْصِدُ السَّادِسُ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: "بَيَانُ حُكْمِ الْإِسْلَامِ السِّيَاسِيِّ الدَّوْلِيِّ"[٦٨]. وهذا المقصد قد استفاد منه ابن عاشور في المقصد الرابع المخصص لسياسة الأمة وصلاحها وحفظ نظامها.

هناك قواعد لهذا المقصد:

القاعدة الأولى: الْحُكْمُ فِي الْإِسْلَامِ لِلْأُمَّةِ، وَشَكْلُهُ شُورَى.

القاعدة الثانية: رئيس الحكم هو الخليفة أو الإمام، وهو منفذ لشرع الله.

القاعدة الثالثة: الأمة هي التي تملك وحدها تنصيب الحاكم وعزله[٦٩].

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع المقصد السادس:

١. تأكيد على أهمية الشورى في نظام الحكم الإسلامي: رشيد رضا تفاعل مع المقصد من خلال التأكيد على أن الحكم في الإسلام يجب أن يكون بالشورى، حيث يعبر عن إيمانه بأن تشارك الشعب في اتخاذ القرارات السياسية أمر ضروري ومبدأ أساسي في نظام الحكم الإسلامي.

٢. تحديد دور رئيس الحكم في الإسلام: أظهر رشيد رضا تفاعله مع المقصد من خلال تحديد دور رئيس الحكم، سواء كان خليفة أو إمام، والذي يعتبر منفذًا لشرع الله ومسؤولاً عن تنفيذ الأحكام الإسلامية في المجتمع.

٣. تأكيد على سيادة الشعب في تنصيب الحاكم: عبر رشيد رضا عن تفاعله مع المقصد من خلال التأكيد على أن الأمة هي التي تملك الحق في اختيار وتنصيب الحاكم، وكذلك في عزله إذا تعذر عليه تنفيذ مهامه بالشكل المطلوب.

---

[٦٨] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢١٧.

[٦٩] انظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢١٧.

٤. تبيين أسس الحكم الإسلامي الدولي: قام رشيد رضا بتبيين أسس الحكم الإسلامي الدولي من خلال استفادته من هذا المقصد، حيث أظهر أن الحكم الإسلامي لا يقتصر على الداخل فحسب، بل يشمل أيضًا العلاقات الدولية وتنظيم العمل السياسي بين الدول.

٥. دعم فكرة استمرارية النظام السياسي الإسلامي: قدّم رشيد رضا دعمًا لفكرة استمرارية النظام السياسي الإسلامي، حيث أكد على أهمية أن يظل الحاكم متمسكًا بأسس الدين في إدارة شؤون الدولة وتنفيذ السياسات العامة بما يتماشى مع القواعد الإسلامية.

الْمَقْصِدُ السَّابِعُ مِنْ فِقْهِ الْقُرْآنِ: الْإِرْشَادُ إِلَى الْإِصْلَاحِ الْمَالِيِّ[٧٠].

يهدف هذا المقصد إصلاح أم المفاسد الاجتماعية الكبرى، وهي طغيان الثروة المالية ودولتها. وَلَا يَتِمُّ الْإِصْلَاحُ فِيهَا إِلَّا بِتَعَاوُنِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ، وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْحُكْمِ، وهناك أقطاب سبعة تدور عليها آيات المال:

القطب الأول: الْقَاعِدَةُ الْعَامَّةُ فِي الْمَالِ كَوْنُهُ فِتْنَةً وَاخْتِبَارًا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

القطب الثاني: أن الآيات القرآنية ذمت المال إذا أوصل إلى الطغيان والغرور والصد عن الحق والخير.

القطب الثالث: أن الآيات القرآنية ذمت صاحب المال البخيل، وذمت صاحب المال المتكبر والمرائي وقت الإنفاق.

القطب الرابع: الآيات القرآنية امتدحت المال باعتباره نعمة من نعم الله وأنه يعزز الإيمان والعمل الصالح.

القطب الخامس: الآيات القرآنية أوجبت حفظ المال من الضياع وأنه لا بد من الاقتصاد فيه بعيداً عن التبذير.

القطب السادس: الآيات القرآنية حثت على الإنفاق وأن إنفاق المال آية من آيات المال، وهو وسيلة لحياة الأمة وعزة الدولة.

القطب السابع: الآيات القرآنية فرضت حقوقاً وواجبات ومندوبات في المال حتى يكتمل الإصلاح المالي[٧١].

تفاعل رشيد رضا مع هذا المقصد يظهر من خلال جهوده في تبيان وتوضيح مفهوم الإصلاح المالي وأهميته في المجتمع الإسلامي. وقد تجلى تفاعله من خلال:

١. التأكيد على ضرورة تعاون الدين والعقل في إصلاح الأمور المالية: عبر رشيد رضا عن إيمانه بأن الإصلاح المالي يتطلب جهودًا مشتركة بين الدين والعقل، حيث ينبغي للمجتمعات الإسلامية أن تعتمد على التوجيهات الدينية والحكمة العقلية في إدارة شؤونها المالية.

[٧٠] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٢٣.

[٧١] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٢٣-٢٢٧.

٢. استنباط الأحكام الشرعية المتعلقة بالمال: قدم رشيد رضا تفسيرًا دقيقًا للآيات القرآنية المتعلقة بالمال، حيث قام بتحليل وتفسير القواعد والمبادئ الشرعية التي تهدف إلى تحقيق الإصلاح المالي وتجنب المفاسد.
٣. التحذير من الفساد المالي: أظهر رشيد رضا تفاعله مع المقصد من خلال التحذير من الفساد المالي والطغيان في استغلال الثروات، مشيرًا إلى أن هذا النوع من السلوك يعتبر من الشرور التي يجب على المجتمع محاربتها ومنعها.
٤. تشجيع الإنفاق الصالح: عبّر رشيد رضا عن أهمية الإنفاق في سبيل الله وتعزيز الخيرات في المجتمع، حيث يرى أن الإنفاق الصالح يعزز الإيمان ويعمل على تحقيق الرخاء والازدهار للمجتمع. ٥. الدعوة إلى تحقيق العدالة المالية: بين رشيد رضا أهمية تحقيق العدالة في المجتمع من خلال توزيع الثروات بشكل عادل وتحقيق التوازن في النمو الاقتصادي، مؤكدًا على أن العدالة المالية هي جزء أساسي من الإصلاح الشامل في المجتمعات الإسلامية.

الْمَقْصِدُ الثَّامِنُ مِنْ فِقْهِ الْقُرْآنِ: "إِصْلَاحُ نِظَامُ الْحَرْبِ وَدَفْعُ مَفَاسِدِهَا وَقَصْرُهَا عَلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ لِلْبَشَرِ"[٧٢].
يرى الشيخ رشيد رضا أن التنازع بين الناس على مرافق الحياة سنة من سنن الاجتماع بل هو ضرورة من ضروراته ووسيلة من وسائل العمران، فإن كان التَّنَازُعُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ كَانَ الْفَلْجُ لِلْحَقِّ وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ كَانَ الظَّفَرُ لِلْعِلْمِ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ النِّظَامِ وَالِاخْتِلَالِ كَانَ النَّصْرُ لِلنِّظَامِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ كَانَ الْغَلَبُ لِلصَّلَاحِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨] [٧٣]. وَأَمَّا التَّنَازُعُ وَالتَّعَادِي وَالتَّقَاتُلُ عَلَى الشَّهَوَاتِ الْبَاطِلَةِ وَالسُّلْطَةِ الظَّالِمَةِ، وَاسْتِبْعَادُ الْقَوِيِّ لِلضَّعِيفِ، وَالِاسْتِكْبَارُ وَالْعُلُوُّ فِي الْأَرْضِ؛ فَإِنَّ ضَرَرَهُ كَبِيرٌ، وَشَرَّهُ مُسْتَطِيرٌ، وَيَزِيدُ ضَرَاوَةَ الْبَشَرِ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَيُورِثُهُمُ الْحِقْدَ وَيُؤَرِّثُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ[٧٤].

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع المقصد الثامن:

١. المساهمة في السلام والاستقرار: يعتبر التفاعل مع هذا المقصد أمرًا حيويًا لتحقيق السلام والاستقرار في المجتمعات، حيث يهدف إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسد النزاعات إلى تقليل العنف والتوترات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تنشأ نتيجة للحروب والصراعات.

[٧٢] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٢٧.
[٧٣] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٢٧.
[٧٤] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٢٧.

٢. حماية حقوق الأضعف: يعمل تفاعلنا مع هذا المقصد على تعزيز العدالة الاجتماعية من خلال تقديم الدعم والحماية للأشخاص الضعفاء والمظلومين في المجتمعات، مما يسهم في تحسين حياتهم وتعزيز مكانتهم في المجتمع.

٣. تعزيز القيم الإنسانية: يؤدي التفاعل مع هذا المقصد إلى تعزيز القيم الإنسانية مثل العدالة والرحمة والتعاطف، مما يعزز التسامح والتعايش السلمي بين أفراد المجتمعات ويقلل من التوترات الاجتماعية.

٤. تعزيز التنمية المستدامة: من خلال تفاعلنا مع هذا المقصد، نعمل على إنشاء بيئة ملائمة للتنمية المستدامة من خلال تقليل النزاعات والصراعات وتحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي. ٥. تعزيز السلم الداخلي والخارجي: يعتبر إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسد النزاعات أساسيًا لتعزيز السلم الداخلي في المجتمعات والسلم الخارجي بين الدول، مما يسهم في بناء عالم أكثر استقرارًا وأمانًا للجميع.

الْمَقْصِدُ التَّاسِعُ مِنْ فِقْهِ الْقُرْآنِ: "إِعْطَاءُ النِّسَاءِ جَمِيعَ الْحُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ"[٧٥].

كَانَ النِّسَاءُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مَظْلُومَاتٍ مُمْتَهَنَاتٍ مُسْتَعْبَدَاتٍ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ وَفِي جَمِيعِ شَرَائِعِهَا وَقَوَانِينِهَا، حَتَّى عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ، وَأَكْمَلَ اللهُ دِينَهُ بِبِعْثَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، فَأَعْطَى اللهُ النِّسَاءَ بِكِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، وَبِسُنَنِهِ الَّتِي بَيَّنَ بِهَا كِتَابَ اللهِ تَعَالَى بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، جَمِيعَ الْحُقُوقِ الَّتِي أَعْطَاهَا لِلرِّجَالِ، إِلَّا مَا يَقْتَضِيهِ اخْتِلَافُ طَبِيعَةِ الْمَرْأَةِ وَوَظَائِفُهَا النِّسَوِيَّةِ مِنَ الْأَحْكَامِ، مَعَ مُرَاعَاةِ تَكْرِيمِهَا وَالرَّحْمَةِ بِهَا وَالْعَطْفِ عَلَيْهَا[٧٦].

قَبْلَ الْبَعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عِنْدَ أُمَمِ الْأَرْضِ إِجْمَالًا بِقَوْلِي: "كَانَتِ الْمَرْأَةُ تُشْتَرَى وَتُبَاعُ، كَالْبَهِيمَةِ وَالْمَتَاعِ، وَكَانَتْ تُكْرَهُ عَلَى الزَّوَاجِ وَعَلَى الْبِغَاءِ، وَكَانَتْ تُورَثُ وَلَا تَرِثُ، وَكَانَتْ تُمْلَكُ وَلَا تَمْلِكُ، وَكَانَ أَكْثَرُ الَّذِينَ يَمْلِكُونَهَا يَحْجُرُونَ عَلَيْهَا التَّصَرُّفَ فِيمَا تَمْلِكُهُ بِدُونِ إِذْنِ الرَّجُلِ، وَكَانُوا يَرَوْنَ لِلزَّوْجِ الْحَقَّ فِي التَّصَرُّفِ بِمَالِهَا مِنْ دُونِهَا، وَقَدِ اخْتَلَفَ الرِّجَالُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ فِي كَوْنِهَا إِنْسَانًا ذَا نَفْسٍ وَرُوحٍ خَالِدَةٍ كَالرَّجُلِ أَمْ لَا؟ وَفِي كَوْنِهَا تُلَقَّنُ الدِّينَ وَتَصِحُّ مِنْهَا الْعِبَادَةُ أَمْ لَا؟ وَفِي كَوْنِهَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَوِ الْمَلَكُوتَ فِي الْآخِرَةِ أَمْ لَا؟ فَقَرَّرَ أَحَدُ الْمَجَامِعِ فِي رُومِيَّةَ أَنَّهَا حَيَوَانٌ نَجِسٌ لَا رُوحَ لَهُ وَلَا خُلُودَ، وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهَا الْعِبَادَةُ وَالْخِدْمَةُ، وَأَنْ يُكَمَّ فَمُهَا كَالْبَعِيرِ وَالْكَلْبِ الْعَقُورِ لِمَنْعِهَا مِنَ الضَّحِكِ وَالْكَلَامِ، لِأَنَّهَا أُحْبُولَةُ الشَّيْطَانِ، وَكَانَتْ أَعْظَمُ الشَّرَائِعِ تُبِيحُ لِلْوَالِدِ بَيْعَ ابْنَتِهِ، وَكَانَ

[٧٥] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٣٢.

[٧٦] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٣٢.

بَعْضُ الْعَرَبِ يَرَوْنَ أَنَّ لِلْأَبِ الْحَقَّ فِي قَتْلِ بِنْتِهِ بَلْ فِي وَأْدِهَا – دَفْنِهَا حَيَّةً – أَيْضًا. وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّهُ لَا قِصَاصَ عَلَى الرَّجُلِ فِي قَتْلِ الْمَرْأَةِ وَلَا دِيَةَ" [٧٧].

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع المقصد التاسع:

١. تحقيق المساواة: أحد أهم نتائج تفاعل رشيد رضا مع هذا المقصد هو تسليط الضوء على حقوق النساء وإعطائهن جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية. من خلال تحليله وتفسيره للنصوص القرآنية، قام رشيد رضا بتسليط الضوء على المساواة بين الجنسين وضرورة إعطاء النساء حقوقهن بالكامل.

٢. تقديم منهجية جديدة: عبر تفاعله مع هذا المقصد، قدم رشيد رضا منهجية جديدة لفهم وتفسير النصوص الدينية التي تتعلق بحقوق النساء. كانت هذه المنهجية تستند إلى مراعاة تكريم النساء والرحمة بهن وتعظيم حقوقهن بما يتماشى مع مبادئ العدل والإنسانية.

٣. تحقيق التغيير الاجتماعي: بفضل جهود رشيد رضا وتفاعله مع هذا المقصد، حققت المجتمعات الإسلامية تغييرات اجتماعية مهمة في موقفها تجاه حقوق النساء. بدأت المرأة تحظى بمزيد من الاحترام والمساواة في المجتمعات التي اتبعت تفسيراته ومنهجيته في فهم القرآن الكريم.

الْمَقْصَدُ الْعَاشِرُ مِنْ فِقْهِ الْقُرْآنِ "تَحْرِيرُ الرَّقَبَةِ"[٧٨].

بَيَّنَّا مِرَارًا أَنَّ أَحْدَاثَ التَّارِيخِ وَضَبْطَ وَقَائِعِهِ وَأَزْمِنَتِهَا وَأَمْكِنَتِهَا لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ ، وَأَنَّ مَا فِيهِ مِنْ قَصَصِ الرُّسُلِ مَعَ أَقْوَامِهِمْ فَإِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ لِسُنَّةِ اللهِ فِيهِمْ ، وَمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَالْإِصْلَاحِ[٧٩].

تلخيص لمنهجية تفاعل رشيد رضا مع المقصد العاشر:

١. تحرير الرقبة يعني تحرير الإنسان من العبودية لغير الله وتوجيهه إلى عبادة الله وحده، مما يبرز أهمية هذا المقصد في تحقيق الحرية الحقيقية للإنسان.

٢. يعزز هذا المقصد مفهوم التحرر الروحي والعقلي، حيث يدعو الإنسان إلى تحرير ذاته من القيود العقائدية والثقافية الضارة.

٣. يسهم تحقيق هذا المقصد في بناء مجتمع يقوم على العدالة والمساواة، حيث يؤدي تحرير الرقبة إلى تعزيز قيم العدل والإنصاف بين أفراد المجتمع.

---

[٧٧] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٣٢.

[٧٨] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٣٦.

[٧٩] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٨٤.

٤. يعمل تحقيق هذا المقصد على تعزيز الوعي الديني والروحي للإنسان، مما يسهم في تحقيق السلام الداخلي والتوازن النفسي.

٥. يعتبر تحرير الرقبة من أسس الإصلاح في المجتمع، حيث يؤدي إلى تحسين العلاقات الاجتماعية والتعاون المشترك لبناء مجتمع أكثر استقرارًا وتقدمًا.

الخاتمة ونتائج البحث

١. أثبتت هذه الدراسة تميز رؤية رشيد رضا لمقاصد القرآن جاء من خلال تفاعلاته المنهجية معها، وكيف أنها جاءت بهدف ترقية وتربية النوع الإنساني وإعلاء شأنه وإكمال إيمانه، وتزكية نفسه، وتربية خاصة لعقله، بحيث تجتث كل بقايا التقليد والوراثة والعادات القبيحة الضارة من أعماق نفسه، ليغرس في مكانها أضدادها، وبهذا يدخل الإنسان في طور الرشد وتحقق أخوته الإنسانية.

٢. يرى رحمه الله من خلال تفاعلاته المنهجية مع مقاصد القرآن أن هناك تعارضاً بين مقاصد القرآن والروايات المأثورية الكثيرة في كتب التفسير، وأن الذين يفضلون التفسير بالمأثور انشغلوا عن مقاصد القرآن بكثرة المرويات التي لا قيمة لها سنداً ولا موضوعاً.

٣. تحدث الشيخ رضا من خلال تفاعلاته المنهجية مع مقاصد القرآن عن أسلوب القرآن، ورأى أن أسلوبه من نوع خاص لأنه يمزج بين مقاصد القرآن المختلفة، ففي الأسلوب الواحد ترى العقائد والحكم والمواعظ وأحكام العبادات، كل ذلك من أجل نفي الملل والسآمة من نفوس القراء والسامعين له، ثم من أجل تجديد النشاط والفهم لديهم.

٤. أثبت البحث أن رشيد رضا أظهر تفاعلاً قوياً وإيجابيا مع مقاصد القرآن الكريم العشرة التي ذكرت في البحث، حيث قام بتحليل نصوص القرآن وتفسيرها وفقًا لمنظوره الخاص ومقاصده الفكرية، مما أثر في تطوير الفكر الإسلامي والمساهمة في الحوار الديني والثقافي.

قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (د.م: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ)، **إصلاح المنطق**، تحقيق: محمد مرعب، (د.م: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ)، **كتاب الألفاظ**، تحقيق: فخر الدين قباوة، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٨م).

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م) ج١، ص٥٩. وانظر: أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي (المتوفى: ق ٦هـ)، إيضاح شواهد الإيضاح، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، **جواهر القرآن**، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، (بيروت: دار إحياء العلوم، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت).

أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)، **الغريبين في القرآن والحديث**، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

أحمد الريسوني، **مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة**، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٣م).

أحمد الريسوني، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، (د.م: دار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

أحمد الريسوني، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، (هيرندن – أميركا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ط، ١٣٧٧هـ/١٣٨٠هـ).

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بـ «ابن المبرد» (المتوفى: ٩٠٩ هـ)، **الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي**، تحقيق: رضوان مختار بن غربيةن (جدة: دار المجتمع، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م).

جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، (د.م: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي**، (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت).

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي منصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

عبد الرحمن حللي، مقاربات مقاصد القرآن الكريم: دراسة تاريخية، **مجلة التجديد**، المجلد العشرون، العدد التاسع والثلاثون أ، عدد خاص بالمقاصد. ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م) .

عبد الكريم حامدي، **مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، **البرهان في أصول الفقه**، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى: ٥٠٤هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، (د.م: د.ن، ط٢، ١٤٠٥هـ).

مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ) جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، (د.م: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (المتوفى: ٥٨١هـ)، **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جدة: دار المدني، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ).

محمد حسن حسن جبل، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ٢٠١٠م).

محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (د.م: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م). محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، **التعريفات الفقهية**، (د.م: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

هيا ثامر مفتاح، مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور، جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، **مجلة الكلية**، العدد: ٢٩/ ٢٠١١م، المجلد: (٢٩) ٢٠١١م، ص٢٣-٢٤.

http://www.feqhweb.com/vb/t17444.html. Accessed on 17/08/2019.
https://www.marefa.org/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF_%D8%B1%D8%B6%D8%A7